لقمان سليم



حـزب اللّـه
من البدايـة إلى البدايـة

Dar al Jadeed | مؤسسة دار الجديد

لقمان سليم



حزب اللّه
من البداية إلى البداية

Dar al Jadeed | مؤسسة دار الجديد

صدر هذا الكُتيّب يوم ٣ شـباط (فبراير) ٢٠٢٣ ـ عامان على اغتيـال لقمـان سـليم بين نيحـا والعدّوسـية ـ جنـوب لبنان.

التشـكيل والإخـراج والغلاف: طاهر حمد وقلـم دار الجديد.
صـــــورة الغـــلاف بعدســـة وائـــل حمــــــزة.
www.LokmanSlim.org | www.dar-al-jadeed.com

الحرب تقدّم أوراق اعتمادها

... وَعَلَـى مـا يَقـولُ أَحَدُهُـمْ، لا بَـأْسَ أَحْيانًـا مِـنَ التَّذْكيـرِ بِمـا يُفْتَـرَضُ أنَّـهُ غَنـيٌّ عَـنْ ذَلِـكَ: فـي الثالِـثَ عَشَـرَ مِـنْ نَيْســان ١٩٧٥ بَـدَأَتِ الحَـرْبُ فـي لُبْنـانَ، شَـأْنَ حُـروبٍ أُخْـرَى، بَـلْ قُـلْ شَـأْنَ المُعْظَـمِ مِـنَ الحُـروب، لـم يُطْلَـقِ اسْـمُ الحَـرْبِ، أوِ «الحَـرْبِ الأَهْليّـةِ»، مِـنْ أوَّلِ الأمْـرِ، عَلَـى مـا بَـدا يَوْمَـذاك، بَيْـدَ أنَّ اسْـتِئْخارَ التَّسْـميةِ فـي ما يُشْـبِهُ السَّـعْيَ إِلـى تَأْجيـلِ الاعْتِـرافِ بِـأَنَّ حَرْبًـا أهْليـةً قَـدْ بَـدَأَتْ، والاسْـتِعاضَةَ مِـنْ هَـذِهِ التَّسْـميةِ بِأوْصـافٍ مُخَفَّفَـةٍ، لـم يَكُـنْ مِمّـا يُعَـوَّلُ عَلَيْـهِ لِيُغَيِّـرَ مِـن واقِـعِ الحـالِ شَـيْئًا.

لا يَعْنينـا فـي هَـذا المَقـامِ أَنْ نَعـودَ إِلـى الأَسْـبابِ التـي تَسَـبَّبَتْ بِانْـدِلاعِ تِلْـكَ الحَـرْبِ عَلـى النَّحْـوِ الـذي كانَ وَلَكِـنْ يَعْنينـا أَنْ نَتَوَقَّـفَ عِنْـدَ جُزْئِيَّـةٍ واحِـدَةٍ بَديهيَّـةٍ عابِـرَةٍ للحُـروبِ الأَهْليَّـةِ الَّتـي تَقَـعُ فـي بَلَـدٍ تَحْكُمُـهُ، نَظَريًّـا، حُكومَـةٌ مَرْكَزيَّـةٌ وَمَفـادُ هَـذِهِ الجُزْئِيَّـةِ أنَّ الحُكومَـةَ المَذْكـورَةَ لا تَفْقِـدُ فَقَـطْ مَرْكَزيَّتَهـا السياسـيَّةَ وَلَكِنَّهـا تَفْقِـدُ أَيْضًـا، بِمِقْـدارٍ يَخْتَلِـفُ مِـنْ حَـرْبٍ إِلـى أُخْـرَى، سِـيادَتَها بِالمَعْنَـى المُجَـرَّدِ لِلْكَلِمَـة كَمـا بِمَعْناهـا الحَرْفِـيّ والجُغْرافِـيّ.

هـو كَذَلِـكَ وَلا إِخالُنـي أَحْتـاجُ إِلـى التَّذْكيـرِ أَيْضًـا بِـأَنَّ هَـذِهِ الحَـرْبَ الّتـي قَدَّمَـتْ فـي ١٣ نيسـان ١٩٧٥ كُلَّ أوْراقِ اعتِمادِهـا، كانَـتْ قَـدْ ذَرَّتْ قَرْنَهـا لِسَـنواتٍ طَويلَـةٍ سَـبَقَتْ وأَنَّهـا، بِمِقْـدارِ مـا كانَـتْ تَـذُرُّ بِقَرْنِهـا، كانَـتْ سـيادَةُ الدَّوْلَـةِ اللُّبْنانيّـةِ، بالمَعْنَيَيْـنِ المَذْكورَيْـنِ أَعْـلاه، تَنْحَسِـرُ، شَـيْئًا فَشَـيْئًا، لمَصْلَحَـةِ لاعِبيـنَ شَـتَّى. وَلَقَـدْ تُسْـرِعُ إِلـى الخاطِـرِ عِنْـدَ الحَديـثِ عَـنْ هَـؤُلاءِ اللّاعِبينَ أَسْـماءُ سـورْيا وإِسْـرائِيلَ وَمُنَظَّمَـةِ التَّحْريـرِ الفِلَسْـطينيّةِ، وَلا ضَيْـرَ فـي ذَلِـكَ شَـريطَةَ أَلّا يُغْفِـلَ المَـرْءُ بِـأَنَّ هَـذِهِ اللّائِحَـةَ لَيْسَـتْ بِالتّامَّـةِ. وإِذْ تَـتَعَدَّدُ التَّشـابيهُ الّتـي يُمْكِنُ أن تُشَـبَّهَ بِها الحَـرْبُ اللُّبْنانيَّةُ، أَوْ بِالْأَحْـرَى التَّشـابيهُ الَّتـي يُمكِـنُ أَنْ تُقَـرِّبَ هَـذِهِ الحَـرْبَ

إِلـى المُتَنـاوَلِ، فَكَأَنّـي بِـ«البـابِ الـدَّوّارِ» تَشْـبيهٌ يَسْـتَحِقُّ الاسْـتِثْمارَ فيـه.

عراق صدّام وإيران الخميني

لَـنْ أُحْصِـيَ عَلَـى مَسـامِعِكُمْ كُلَّ اللّاعِبيـنَ الَّذيـنَ دَخَلـوا لُبْنـانَ خَلَـلَ هَـذا البـابِ الـدَّوّارِ، واسْـتَقَرَّ لَهُـمُ المُقـامُ فيـهِ، أَوْ أُوْلَئِـكَ الَّذيـنَ دَخَلـوا ثُـمَّ لَـمْ يَلْبَثـوا أنْ كُتِـبَ لَهُـمْ، وَعَلَيْهِـمْ، أَنْ يَخْرُجـوا مِنْـهُ ـ بَـلْ، فـي مُعْظَـمِ الأَحْيـانِ، أنْ يَخْرُجـوا مِنْـهُ عَنْـوَةً. أَكْتَفـي مِـنْ تِلْـكَ اللّائِحَـةِ الطَّويلَـةِ مِـنَ اللّاعِبيـنَ بِالإِشـارَةِ إِلـى لاعِبَيْـنِ اثْنَيْـنِ فَحَسْـبُ: عِـراقُ صَـدّامَ حُسَـيْن وإِيْـرانُ الخُمَيْنـيّ.

لَقَـدْ يَبْـدو فـي هَـذا العَطْـفِ، اليَّـوْمَ ـ عَطْـفِ عِـراقِ صَـدّام عَلَـى إِيْـران الخُمَيْنـيّ شَـيْءٌ مِـنَ العَبَـثِ: فَعِـراقُ صَـدّام، غَيْـرِ المَأْسـوفِ عَلَيْـه، صَدّامًـا أعْنـي، التَحَـقَ بِخَبَـرِ كانَ مُنْـذُ عُقـودٍ، أَيْ مِـنْ قَبْـلِ أَنْ يَسْـقُطَ نِظـامُ صَـدّام، فـي حيـنِ أَنَّ رايـاتِ إِيْـران الخُمَيْنـيّ، السّـافِرَةَ مِنْهـا عَـنْ فارِسـيتِها، والمُقَنَّعَـةَ مِنْهـا بِمـا أَنْـزَلَ اللـهُ بِـهِ مِـنْ حَـقٍّ وَباطِـلٍ وَبِمـا لَـمْ يُنْـزِلْ، تُرَفْـرِفُ مُتَجَبِّـرَةً مُتَوَعِّـدَةً فـي سَـماءِ أَرْبَـعِ عَواصِـمَ عَرَبِيَّـةٍ...

فيـمَ أَعـودُ بِكُـمْ إِلـى البِدايـاتِ مِـنْ حَـرْبِ لُبْنـانَ وَفيـمَ أُوازِنُ بَيْـنَ عِـراقِ صَـدّامَ وإيـرانِ الخُمَيْنـيّ؟ بِبَسـاطَةٍ، لِأَنَّ جُـذورَ الأُلْغـوزَةِ الَّتـي نَـتَداعَى اليَـوْمَ إِلـى فَكِّها تَضْـرِبُ هُنـاكَ ـ فـي لُبْنـانَ، وَفـي تَفَـكُّكِ أَوْصالِـهِ وأَوَصـالِ دَوْلَتِـهِ، وَفـي انْحِسـارِ سـيادَةِ الدَّوْلَـةِ اللُّبْنانيَّـةِ حَـدَّ التَّلاشـي، وَفـي حَـرْبِ لُبْنـانَ، بِالمَعْنَـى الأَوْسَـعِ لِهَـذِهِ الكَلِمَـةِ لا بِالمَعْنَـى العَسْـكَرِيّ الضَّيْـقِ، وَفـي مـا يُشْـبِهُ الإجْمـاعَ، مِـنْ قُنـوطٍ أَوْ مِـنْ قِلَّـةِ حيلَـةٍ، عَلَـى التَّغاضـي، وَلَـو عَلَـى مَضَـضٍ، عَـنْ مُضـيّ هَـذِهِ الحَـرْبِ قُدُمًـا، وَعَلَـى التَّغاضـي، اسْـتِطْرادًا، عَـنِ ازْدِهـارِ الظُّـروفِ المَوْضوعيَّـةِ الَّتـي تُتيـحُ لِلأُلْغـوزَةِ إيّاهـا أنْ تَـزْدادَ اسْـتِغْلاقًا وَغُموضًـا، وأَنْ تَقْـوَى شَـوْكَةً، وَشَـرٌّ مِـنْ هَـذا وَذاكَ أنْ تُنْـزِلَ نَفْسَـها فـي عُيـونِ البَعْـضِ، وَفـي حِسـاباتِهِمْ، مَنْزِلَـةَ الرُّكْـنِ مِـنْ أَرْكانِ الاسْـتِقْرارِ ـ أَقَلُّـهُ اسْـتِقْرارُ لُبْنـانَ!

أعـودُ عَـوْدي عَلـى لُبْنـانَ الحَـرْبِ وَعِـراقِ صَـدّام: نَعَـمْ، مَضَـى حَيْـنٌ مِـنَ الدَّهْـرِ كانَ فيـهِ لِهَـذا العِـراقِ، وَلِبَعْثِـه، حُضـورٌ وَمَنْزِلَـةٌ يَصْعُـبُ اليَـوْمَ أنْ نَتَخَيَّـلَ مـا كانـا عَلَيْـهِ مِـنَ اتِّسـاعٍ: كانَ لَـهُ، عَشِـيّاتِ الحَـرْبِ، نُـوّابٌ فـي البرْلَمـانِ اللُّبْنانـيّ، وَكانَ لَـهُ خِـلالَ الحَـرْبِ مُمَثِّلـونَ فـي المَيْـدانِ بِشَـخْصِ ميليشْيَـتَينِ اثْنَتَيـنِ: واحِـدَةٌ لُبْنانِيَّـةٌ هِـيَ الجَنـاحُ

العَسْـكَريُّ لِحِـزْبِ البَعْـثِ وَأُخْـرَى فِلِسْـطينِيَّةٌ هِـيَ «جَبْهَـةُ التَّحْريـرِ العَرَبيّـةِ»، وَحَـدِّثْ وَلا حَـرَجَ عَـنْ كُلِّ أوْجُـهِ الحُضـورِ الأَمْنيَّـةِ والثَّقافيَّـةِ والإغاثيَّـةِ الأُخْـرَى.

حسنُ الضيافة الثوريّة

أَعـودُ عَـوْدي عَلـى لُبْنـانَ الحَـرْبِ وَإيـرانِ الخُمَيْنـيّ فَأَقـولُ لا مُنَزِّهًـا قَوْلـي عَـنِ النِّقـاشِ فيـه، أَوْ لَرُبَّمـا عَـنْ تَصْويبِـهِ: لا يُضاهـي سُـهولَةَ تَـتَـبُّعِ حُضـورِ عِـراقِ صَـدّام فـي لُبْنـانَ، رُغْـمَ عَراقَـةِ هَـذا الحُضـورِ بِلِحـاظِ أَنَّ عِـراقَ صَـدّام إِنَّمـا وَرِثَ، فـي لُبْنـانَ كَمـا فـي بُلْـدانٍ أُخْـرَى، التّاريـخَ المَديـدَ لِصِـراعِ البَعْثَيْـنِ، إِلّا صُعوبَـةَ تَـتَـبُّعِ حُضـورِ إِيْـران الخُمَيْنـيّ فيـهِ. وَلَهَـذا ثَلاثَـةُ أَسْـبابٍ عَلَى الأَقَـلّ: أَمّـا الأَوَّلُ فَـإِنَّ حُضورَ إِيْـران الخُمَيْنـيّ، قَبْـلَ إِسْـقاطِ نِظـامِ الشّـاه، إِنّمـا انْـدَرَجَ فـي إِطـارِ «حُسْـنِ الضِّيافَـةِ الثَّوْرِيَّـةِ» ـ إِنْ جـازَتِ العِبـارَةُ ـ الَّـذي عَمَّمَـهُ اسْـتيلاءُ مُنَظَّمَـةِ التَّحْريـرِ الفِلَسْـطينيّةِ عَلَـى نَصيـبٍ وافِـرٍ مِـنَ السّـيادَةِ اللُّبْنانيّـةِ، وإِنّمـا ارْتَبَـطَ فـي المَحَـلِّ الأَوَّلِ بِأَفْـرادٍ وَبِمَجْموعـاتٍ مُبَعْثَـرَةٍ وَلَـوْ أَنَّ بَعْـضَ الأَفْـرادِ لـم يَلْبَثـوا أَنْ تَبَـوَّأُوا، مَـعَ إِسْـقاطِ نِظـامِ الشّـاهِ، مَناصِـبَ عاليـةً فـي النِّظـامِ الخُمَيْنـيّ؛ وأَمّـا الثّانـي، فَـإِنَّ

المَرْحَلَـةَ التـي امْتَـدَّتْ بَيـنَ إسْـقاطِ نِظـامِ الشّـاهِ، وَبَيـنَ استِعْلاءِ الخُمَيْنيّـةِ عَلَـى «الثَّـوْرَةِ» هـي مِـنْ أعْقَـدِ المَراحِـلِ فـي التّاريـخِ الإيْرانـيّ الحَديـثِ مِـنْ حَيْـثُ مـا شَـهِدَتْهُ مِـنْ صِراعـاتٍ بَيْـنَ القِـوَى المُتَنافِسَـةِ عَلَـى السَّـاحَةِ الإِيْرانيّـةِ، وَأَمّـا الثّالِـثُ فالسّياسـاتُ المُلْتَبِسَـةُ لِلْنِّظـامِ السّـوريّ، ذي النُّفـوذِ الرّاسِـخِ فـي لُبْنـان مِـنَ الحُضـورِ الإِيْرانـي فيـهِ، عِلْمًـا، وَمِـنْ بـابِ التَّذْكيـرِ لَيْـسَ إِلا، أنَّ النِّظـامَ السّـوريّ كانَ أَوَّلَ المُبادِريـنَ إِلـى الاِعْتِـرافِ بِإِيْـرانَ الجَديـدَةِ.

شَـأْنَ كُلِّ الحُـروبِ الّتـي سَـمِعَ الواحِـدُ مِنّـا عَنْهـا أَوْ قَـرأَ، أَوْ حَتَّـى تِلْـكَ الدّائِـرَةِ مِـنْ حَوْلِنـا، لا حَـرْبَ تَقْبَـلُ التَّصَريـفَ والتَّعْريـفَ بِصيغَـةِ المُفْـرَدِ؛ فالحَـرْبُ لا تَنْتَظِـرُ أَنْ يُوافيَهـا سِـنُّ البُلـوغِ لِتَبْـدَأَ بِالتَّناسُـلِ. وَهَـذا مـا كانَ مِـنْ أَمْـرِ الحَرْبِ الَّتـي اسْـتَهْلَلْتُ كَلامـي بِالحَديـثِ عَنْهـا: حَـرْبِ لُبْنـان.

حرب السفارات

فـي عِـدادِ حُـروبٍ صَغيـرَةٍ كَثيـرَةٍ شَـهِدَها لُبْنـانُ عَشـيّةَ المُنْعَطَـفِ الَّـذي كانَـهُ اجْتيـاحُ إِسْـرائِيْلَ فـي حُزَيْـرانَ ١٩٨٢، كانَـتْ حَـرْبٌ لَـم تَنَـلْ، لِسـوءِ الحَـظِّ، حَـقَّ نَصيبِها مِـنَ التَّوْثيـقِ وَمِـنَ البَحْـثِ وَمِـنَ الدِّراسَـةِ بِلِحاظِ مَفاعيلِهـا، بَيـنَ عِـراقِ صَـدّام وَبَيـنَ إِيْـران الخُمَيْنـيّ فـي لُبْنـان.

بِمـا يُشْـبِهُ الدُّعابَـةَ أَطْلَـقَ بَعْـضُ الإِعْـلامِ اللُبْنانـيّ عَلـى هَـذِهِ الحَـرْبِ اسْـمَ «حَـرْبِ السِّـفاراتِ» بِاعْتِبـارِ أَنَّ أَجْلَـى تَعْبيـراتِ هَـذِهِ الحَـرِبِ كانَـتْ تِلْـكَ الاِشْـتِباكاتُ التـي وَقَعَـتْ، طَـوالَ أَشْـهُرٍ، دَوْريًّـا، بَيـنَ مُسَـلَّحينَ مُتَحَصِّنيـنَ فـي مَبْنَـى السِّـفارَةِ العِراقيَّـةِ، (سـابِقًا)، وَبَيـنَ مُسَـلَّحينَ مُتَحَصِّنيـنَ فـي مَبْنَـى المُسْتَشـاريَّةِ الثَّقافيَّـةِ الإِيْرانيَّـة؛ وَلَكِـنَّ هَـذِهِ الحَـرْبَ لَـمْ تَقْتَصِـرْ عَلَـى شِـقِّها المَشْـهَدي هَـذا الَّـذي انْتَهَـى رَمْزيًّـا يَـوْمَ أَنِ اقْتَحَـمَ انْتِحـاريٌّ مَبْنَـى

السِّــفارَةِ العِراقيَّــةِ وَأَحالَهــا إِلــى أَثَــرٍ بَعْــدَ عَيْــنٍ. فإِلــى جانِــبِ الحَــرْبِ الصَّريحَــةِ بَيــنَ تَيْنِــكَ المَبْعوثِيَّتَيــنِ الدِّيبلوماسِــيَّتَينِ كانَــتْ هَــذِهِ الحَــرْبُ تَمْضــي عَلَــى قَــدَمٍ وَســاقٍ، هُنــا عَلَــى صــورَةِ اشْــتِباكٍ مَوْضِعــيٍّ، وَهُنــاكَ عَلَــى صــورَةِ تَفْجيــرٍ لِمَكْتَــبٍ حِزْبــيٍّ، وَهُنالِــكَ عَلَــى صــورَةِ اغْتيــالٍ سياســيٍّ.

لَــنْ أُكَــرِّرَ مــا تَقَــدَّمَ مِــنْ قَوْلــي بِــأَنَّ هَــذِهِ الحَــرْبَ الَّتــي دارَتْ «بِالتَّجْزِئَــةِ» تَسْــتَحِقُّ مَزيــدَ تَوْثيــقٍ وَبَحْــثٍ وَإِنّمــا أَثِــبُ تَــوًّا إِلــى الخُلاصَــةِ الَّتــي تَعْنينــا فــي هَــذا المَقــامِ وَالَّتــي مَفادُهــا أَنَّ هَــذِهِ الحَــرْبَ آذَنَــتْ بِشُــروعِ إِيْــران الخُمَيْنــيّ بِتَنْفيــذِ خِطَّــةِ «تَطْهيــرٍ سِياســيّ» فــي صُفــوفِ اللُّبْنانيّيــنَ الشّــيْعَةِ يَنْتَهــي الأَمْــرُ مَعَهــا بِتَحَــوُّلِ هَــذِهِ الجَماعَــةِ اللُّبْنانيَّــةِ إِلــى جَماعَــةٍ ذاتِ صَفــاءٍ مَذْهَبــيٍّ طــارِدٍ للتَّنَــوِّعِ، أَوْ فــي الأَقَــلِّ ذاتِ شُــعورٍ بِالصَّفــاءِ المَذْهَبــيّ، أَيْ إِلــى كُتْلَــةٍ صَمّــاءَ، أَوْ شِــبْهِ صَمّــاء، يَسْــهُلُ التَّحَكُّــمُ بِهــا وَبمَقْدِراتِهــا وَبِمَصيرِهــا. لَقَــدْ تُثيــرُ الإِحالَــةُ إِلــى «إِيْــران الخُمَيْنــيّ» بَعْــضَ التَّحَفُّــظِ حَيْــثُ إِنَّ مُلْــكَ إِيْــران وَمَلِكِهــا لَــمْ يَكُــنْ قَــدْ آلَ بَعْــدُ، بِالكامِــلِ، إِلــى الخُمَيْنــيّ وَنَهْجِــهِ، وَلَكِــنَّ الــرَّدَّ عَلَــى هَــذا التَّحَفُّــظِ لَيْــسَ بِالأَمْــرِ الشّــاقِّ. فَمَــنْ يُدَقِّــقُ فــي الحُضــورِ الثَّــوْري الإِيْرانَــيِّ فــي لُبْنــانَ مــا

قَبْـلَ إِسْـقاطِ نِظـامِ الشّـاهِ وَمـا بَعْـدَهُ يَتَبَيّـنُ، بيُسْـرٍ، أَنَّ الرُّجْحـانَ فـي هَـذا الحُضـورِ كانَ لِذَلِـكَ النَّهْـجِ مِـنْ خِـلالِ أَعْتَـى دُعاتِـهِ.

التطهير السياسي

وَشَـأْنَ الإِحالَـةِ إِلـى «إِيْـران الخُمَيْنـيّ»، لَقَـدْ يُثيـرُ الحَديـثُ عَـنْ خِطَّـةِ «تَطْهيـرٍ سِياسـيّ» بَعْـضَ التَّحَفُّـظِ، أَوْ لَقَـدْ تَنْسِـبُ القائِـلَ بِهـا إِلـى طائِفَـةِ الدَّسائِسـيّينَ المُؤَامَراتيّيْـن، وَمِـنْ ثَـمَّ مـا يَبْـدو لـي مِـنْ موجِـبِ المُسـارَعَةِ إِلـى التَّعْليـقِ الموجَـزِ عَلَـى هَـذا التَّحَفُّـظِ فَأَقـولُ: لَـوْ لَـمْ يَكُـنِ «التَّطْهيـرُ السِّياسـيُّ» فـي صُفـوفِ اللُّبْنانيّيـنَ الشّـيعَةِ جُـزْءًا لا يَتَجَـزَّأُ مِـنْ فَلْسَـفَةِ «تَصْديـرِ الثَّـوْرَةِ» إِلـى لُبْنـانَ الَّـذي وَضَعَتْـهُ إِيْـرانُ الخُمَيْنـيّ، مُبْكِـرًا جِـدًّا، نَصْـبَ عَيْنَيْهـا، وَلَـوْ أَنَّ اغْتيـالاتِ قـادَةِ الـرَّأْيِ وَأَصْحـابِ الدّالَّـةِ السِّياسـيَّةِ والاجْتِماعيَّـةِ فـي تِلْـكَ المَرْحَلَـةِ لَـمْ يَعُـدْ كَوْنُـهُ بَعْضًـا مِـنَ الحَـرْبِ بَيـنَ العِـراقِ وإِيْـران لا أَكْثَـرَ وَلا أَقَـلَّ، لَمّـا تَواصَلَـتْ هَـذِهِ الاغْتيـالاتُ بَعْـدَ «اجْتِثـاثِ» عِـراقِ صَـدّام مِـنْ لُبْنـانَ مُسْـتَهْدِفَةً أَفْـرادًا لا شَـأْنَ لَهُـمْ بِالعِـراقِ وَلا بِبَعْثِـهِ، بَـلْ لَمـا اسْـتَمَرَّتْ، حَتَّـى الأَمْـسِ القَريـب، مُنَبِّهَـةً مَـنْ

تُسَـوِّلُ لَهُـمْ أَنْفُسُـهُمْ الخُـروجَ عَلَـى الجَماعَـةِ خُروجًـا مِـنْ شَـأْنِهِ أَنْ يُهَـدِّدَ تَماسُـكَها، أَوْ صـورَةَ تَماسُـكِها، بِـأَنَّ كاتِـمَ الصَّـوْتِ، أَوْ مـا يُعادِلُـهُ مِـنْ أَدَواتِ القَتْـلِ المـاديّ أَوْ القَتْـلِ المَعْنَـويِّ، بِالمِرْصـاد. وَإِذا كانَ الاغْتيـالُ هـو وَسـيلَةُ التَّطْهيـرِ السّياسـيّ الأَشْـيَعُ مَتَـى مـا تَعَلَّـقَ الأَمْـرُ بِالأَفْـرادِ، فَلِلْتَطْهيـرِ السِّياسـيّ مَتَـى مـا تَعَلَّـقَ الأَمْـرُ بِالعَشـائِرِ وَسـائِلُهُ، وَمَتَـى مـا تَعَلَّـقَ الأَمْـرُ بِالمُجْتَمَعـاتِ الرّيفيـةِ وَسـائِلُهُ وَعَلـى مـا تَقَـدَّمَ قِـسْ.

إِنْفـاذًا لِخِطَّـةِ «التَّطْهيـرِ السِّياسـيّ» تِلْـكَ، لَـمْ تَكْتَـفِ إِيْرانُ بِاسْـتِنْفارِ مـا تُيَسِّـرُ لَهـا الوِصايَـةُ المُباشِـرَةُ عَلَيْـهِ مِـنْ حَرَكَـةِ أَمَـل الَّتـي كانَ تَأْسيسُـها أَواسِـطَ السَّـبْعينيّاتِ عَلـى يَـدِ السَّـيِّدِ موسَـى الصَّـدْر، والَّتـي لَـمْ يَكُـنْ قَـدْ بَقـي لَهـا مِـنْ قَضّيـةٍ مَـعَ «تَغْييـبِ» هَـذا المُؤَسِّـسِ سِـوَى المُطالَبَـةِ بِعَوْدَتِـه، وَلَـمْ تَكْتَـفِ بِاسْـتِنْفارِ حَميّـةِ اللُّبْنانييـنَ الشـيعَةِ تَحْـتَ عُنْـوانِ التَّضامُـنِ مَـعَ إِخْوانِهِـم العِراقييـنَ الشّـيعَةِ، وَلَكِنَّهـا أَسْـفَرَتِ القِنـاعَ أَيْضًـا عَمّـا كانَـتْ قَـدْ باشَـرَتْ بِإِنْشـائِهِ مِــنْ مَنْظومَــةٍ عَسْـكَرِيَّةٍ | أَمْنيَّـةٍ خاصَّـةٍ بِهـا وَمُؤْتَمِـرَةٍ مُباشَـرَةً بِأَوامِرِهـا. وَلا أَبْلَـغَ هُنـا، فـي وَصْـفِ مـا تَقَـدَّمَ وَفـي وَصْـفِ هَـذِهِ المَرْحَلَـةِ، مِـنَ الاِسْتِشْـهادِ بِمـا جـاءَ، لِسَـنَواتٍ خَلَـتْ، تَحْـتَ قَلَـمِ رَجُـلٍ هـو اليَّـوْمَ

أَحَـدُ أَعْضـاءِ «كُتْلَـةِ الوَفـاءِ لِلْمُقاوَمَـةِ»، وَهـي كُنْيَـةُ كُتْلَـةِ «حِـزْبِ اللـهِ» فـي البَرْلَمـانِ اللُّبْنانـيّ:

«كانَـتْ حَرَكَـةُ أَمَـل تُشَـكِّلُ التَّنْظيـمَ الشّـيعيّ الرَّئِيْسـيّ عَلَـى السّـاحَةِ اللُّبْنانيَّـةِ [...] وبَـرَزَ اسْـمُ أَمَـل فـي الأَحْـداثِ الَّتـي تَوالَـتْ عَلَـى السّـاحَةِ اللُّبْنانيَّـةِ، خاصَّـةً فـي الفَتْـرَةِ المُمْتَـدَّةِ بَيْـنَ العامَيْـنَ ١٩٨٠ و١٩٨٢، حيـنَ وَقَعَـتْ سِلْسِـلَةٌ مِـنَ الأَحْـداثِ أَبْرَزُهـا ازْديـادُ المَشـاكِلِ بَيْـنَ أَمَـل والفِلَسْـطينيّينَ، فـي بَيْـروتَ وَقُـرَى الجَنـوبِ [...] كَمـا انْعَكَسَـتْ تَطَـوُّراتِ الحَـرْبِ العِراقيّـةِ | الإِيْرانيّـةِ فـي أَحْيـاءِ بَيْـروتَ وَقُـرَى الجَنـوبِ، إِذْ حـاوَلَ نِظـامُ صَـدّام حُسَـيْن اسْـتِغْلالَ السّـاحَةِ اللُّبْنانيَّـةِ لِتَوْسـيعِ نِطـاقِ المُجابَهَـةِ مَـعَ إِيْـران [...].

وَفـي المُقابِـلِ، كانَـتْ إِيْـرانُ قَـدْ بَـدَأَتْ تَسْـتَعيدُ قُوَّتَهـا وَتُحَـرِّرُ بَعَـضَ أَراضيهـا، فَبَـدَأَتْ بِمُسـاعَدَةِ الإِسْـلاميّينَ فـي لُبْنـانَ، وفَتَحَـتْ خُطوطًـا مَـعَ كُلِّ الاتِّجاهـاتِ الإِسْـلاميَّةِ، وَعَمِلَـتْ عَلَـى تَبَنّـي الجَـوِّ الإِسْـلامي بَعيـدًا عَـنِ التَّفاصيـلِ الفَرْعيَّـةِ، وَلِهَـذا الغَـرَضِ، تَـمَّ تَشْـكيلُ لَجْنَـةٍ خاصّـةٍ مُهِمَّتُهـا تَنْسـيقُ الدَّعْـمِ لِلْمُؤْمِنيـنَ العامِليـنَ فـي الَخـطِّ الإِسْـلاميِّ، فَنَمـا حُضـورُ هَـذا الخَـطِّ الشَّـعْبيّ والسِّياسـيّ والأَمْنـيّ، بَعْدَمـا تَشَـكَّلَتْ

مَـعَ مَطْلَـعِ الثَّمانينيّـاتِ مَجْموعَـةٌ أَمْنيّـةٌ خاصَّـةٌ، أَصَبْـحَ لَهـا وَزْنُهـا وَثِقْلُهـا، واسْـتَطاعَتْ فـي فَتْـرَةٍ وَجيـزَةٍ إِثْبـاتَ جَدارَتِهـا، فـي حِمايَـةِ الخَـطِّ الإِسْـلاميِّ، وَشَـكَّلَتِ الـذِّراعَ العَسْـكَريةَ التـي كانَ يَحْتاجُهـا، لِحِمايَـةِ تَشْـكيلاتِهِ الَّتـي كانَـتْ تَتَجَـذَّرُ، فـي بَلَـدٍ يَحْتـاجُ فيـهِ أَيُّ حُضـورٍ سِياسِـيٍّ إِلـى حُضـورٍ عَسْـكَري فاعِـلٍ.

وَجـاءَ تَفْجيـرُ السِّـفارَةِ العِراقيَّـةِ [...] بِسَـيّارَةٍ مُفَخَّخَـةٍ [...] فـي رَبيـعِ العـام ١٩٨١، لِيُشَـكِّلَ دَفْعًـا جَديـدًا لنُمُـوِّ التَّيـارِ الإِسْـلاميّ، وَلَكِـنْ مـا إِنْ أَطَـلَّ شَـهْرُ حُزَيْـرانَ مِـنَ العـامِ ١٩٨٢، حَتَّـى كانَ كُلُّ شَـيْءٍ يَنْقَلِـبُ رَأْسًـا عَلَـى عَقِـبٍ، مَـعَ بِدايَـةِ أَوَسْـعِ اجْتيـاحٍ إِسْـرائِيليّ أَسْـقَطَ أَوَّلَ عاصِمَـةٍ عَرَبيَّـةٍ [...]».

الخطيئة السياسيّة التي لا كفّارة لها

كَأَنّـي بِالاِسْـتِنْتاجَينِ اللَّذَيْـنِ أَرْغَـبُ فـي الوُصـولِ إِلَيْهِمـا مِـنْ كُلِّ مـا تَقَـدَّمَ لا يَحْتاجـانِ إِلـى مَزيـدِ بَيـان:

أَوَّلًا: «حِـزْبُ اللـهِ»، كَمـا نَعْرِفُـهُ اليَـوْمَ، وَبِصَـرْفِ النَّظَـرِ عَـنِ المُلابَسـاتِ والمُنازَعـاتِ الدّاخِليـةِ الَّتـي تَخَلَّلَـتِ الفَتْـرَةَ الفاصِلَـةَ بَيـنَ «سَـنَواتِ التَّقيَّـةِ» وَبَيـنَ لَحْظَـةِ الإِشْـهارِ، هـو

ابْــنٌ شَــرْعيٌّ مِــنْ أَبْنــاءِ «الحَــرْبِ الأَهْليَّــةِ» وإِنَّمــا يُزَكّيــهِ عَلــى إِخْوَتِــهِ مِــنْ أَبْنائِهــا، مَــنْ شــاخَ مِنْهُــم وَمَــنْ انْقَــرَضَ، مــا تَوَفَّــرَ لَــهُ مِــنْ ظُــروفٍ مَحَليَّــةٍ وإِقْليميَّــةٍ حَفِظَــتْ لَــهُ أَسْــبابَ البَقــاءِ والحَيَويَّــةِ.

ثانيًـا: «الحَـرْبُ»، سَواءٌ أَكانَـتْ أَهْليَّـةً أَمْ غَيـرَ أَهْليَّـةٍ، هـي بيئَتُـهُ الحاضِنَـةُ وَشَـرْطُ بَقائِـهِ المَشْـروط.

لا أُريــدُ مِــنْ قَوْلــي إِنَّ «حِــزْبَ اللــهِ» ابْــنٌ شَــرْعيٌّ مِــنْ أَبْنـاءِ «الحَـرْبِ الأَهْليَّـةِ» أَنْ أُعيـدَ حَقيقَـةً تاريخيَّـةً ضَلَّـتِ الطَّريــقَ إِلــى نِصابِهــا بَــلْ أَنْ أســأَلَ ـ أَنْ أَســالَ نَفْســي قَبْــلَ أَيِّ أَحَــدٍ آخَــرَ ـ فــي مَعْــرِضِ حَــلِّ الجَفْــرِ الَّــذي نَتَحَلَّــقُ اليَّــوْمَ حَوْلَــهُ: بِكَــمْ أَسْــهَمَ التَّسْــليمُ، فــي عِــدادِ أُمــورٍ كَثيــرَةٍ أُخْــرَى، ـ التَّسْــليمُ مِــنْ بــابِ السَّــذاجَةِ، أَوْ مِــنْ بــابِ المُجامَلَــةِ أَوْ شَــرَّ مِــنْ هَــذا وَذاكَ نُــزولًا عِنْــدَ داعيــةِ الاسْــتِقامَةِ السِّياســيَّةِ، بِــأَنَّ «حِــزْبَ اللــهِ» هــو ابْــنُ «المُقاوَمَــةِ»، لا ابْــنُ «الحَــرْبِ» وَرَبيبُهــا، فــي أَنْ يَتَحَــوَّلَ، شَــيْئًا فَشَــيْئًا، إِلــى هَــذِهِ الأُلْغــوزَةِ الَّتــي لا يَزيدُهــا التَّغاضــي عَــنْ أَصْلِهــا وَفَصْلِهــا إلا غُموضًــا؟ جَوابــي، لِنَفْســي، قاطِــعٌ لا يَحْتَمِــلُ الاجْتِهــادَ: إِنَّ حَمْــلَ «المُقاوَمَــةِ» عَلَــى مَحْمَــلِ الفِــراشِ الَّــذي وُلِــدَ فيــه

«حِـزْبُ اللـهِ» لَيْـسَ خَطَـأً تاريخِيًّـا فَحَسْـبُ بَـلْ خَطيئَـةٌ سِياسِـيَّةٌ لا كَفَّـارَةَ لَهـا. فَمَـنْ يُسَـلِّمُ بِأَنَّـهُ فـي هَـذا الفِـراشِ وُلِـدَ، مَسـوقٌ حُكْمًـا إِلـى الإِقْـرارِ لَـهُ بِصِفَـةٍ أَوْ أَكْثَـرَ مِـنْ صِفـاتِ «حَـرَكاتِ التَّحَـرُّرِ الوَطَنـيّ» وَمَـنْ يَفْعَـلْ لا بُـدَّ أَنْ يُعامِلَـهُ مُعامَلَـةَ هَـذِهِ الحَـرَكاتِ وأَنْ يَتَوَقَّـعَ مِنْـهُ، وأَنْ يَتَوَقَّـعَ لَـهُ، أَنْ يَسْـلُكَ سُـلوكَ هَـذِهِ الحَـرَكاتِ فـي انْتِقالِهـا مِـنَ «الثَّـوْرَةِ» إِلـى «الدَّوْلَـةِ»...

بَيـنَ يَـدَي «حِـزْبِ اللـهِ»، وَبِشَـهادَةِ السَّـنَواتِ الثَّمانـي عَشَـرَ الماضِيَـةِ، أَيْ مُنْـذُ الانْسِـحابِ الإِسْـرائِيْليّ الَّـذي ارْتَفَـعَ مَعَـهُ، نَظَرِيًّـا وَعَمَلِيًّـا، السَّـبَبُ الموجِـبُ لـ«المُقاوَمَـةِ» ـ عَلَـى افْتِـراضِ أَنَّ هَـذِهِ «المُقاوَمَـةَ» لَـمْ تَكُـنْ أَحَـدَ الأَسْـبابِ الَّتـي أَدامَـتْ فَتْـرَةَ الاِحْتِـلال ـ نَحْـنُ أَمـامَ أَحَـدِ اثْنَيْـنِ: إِمـا مُتابَعَـةُ «حِـزْبِ اللـهِ» فـي دَعْـواهُ بِأَنَّـهُ نَسـيجُ وَحْـدِهُ، وَنَمـوذَجٌ فَريـدٌ لا مَحَـلَّ لِاسْـتِعْجالِ انْتِقالِـهِ مِـنَ «الثَّـوْرَةِ» إِلـى «الدَّوْلَـةِ»، بِفَضْـلٍ مِـنْ فَرادَتِـهِ المَزْعومَـةِ هَـذِهِ، وأَمّـا التَّشْـكيكُ ابْتِـداءً بِأَنَّـهُ مَوْلـودٌ تَحْـتَ «بُـرْجِ المُقاوَمَـةِ» والبَحْـثُ لَـهُ عَـنْ نَسَـبٍ آخَـرَ، واسْـتِطْرادًا، عَـنْ سـيرَةٍ أُخْـرَى.

يُفْضـي بـي مـا تَقَـدَّمَ إِلـى الاسِـتِنْتاجِ الثّانـي: «الحَـرْبُ»،

سَـواءٌ أَكانَـتْ أَهْليَّـةً أَمْ غَيْـرَ أَهْليَّـةٍ، هـي بيئَـةُ «حِـزْبِ اللـهِ» الحاضِنَـةُ وَشَـرْطُ بَقائِـهِ المَشْـروط. وَهُنـا، أَكْثَـرَ مِـنْ أَيِّ مَحَـلٍّ آخَـرَ وَرَدَ فيـهِ ذِكْـرُ الحَـرْبِ خِـلالَ هَـذِهِ المُداخَلَـةِ، أُصِـرُّ عَلَـى مَعْنَـى الحاصِرَتَيْـنِ اللَّتَيْـنِ أُحيـطُ كَلِمَـةَ حَـرْبٍ بِهِمـا، وَلا سـيَّما وأَنَّ «حِـزْبَ اللـهِ» مُتَـوَرِّطٌ حاليًّـا فـي عَـدَدٍ مِـنَ الحُـروبِ بِالمَعْنَـى الحَرْفـيّ لِلْكَلِمَــةِ. لَيْــسَ لِحَــرْبٍ، بِصَــرْفِ النَّظَــرِ عَــنْ عَدالَتِهــا، أَنْ تُبــاعَ مِــنَ الجَماعَــةِ أَوْ مِــنَ الجُمْهــورِ الَّــذي يُدْعَــى إِلـى خَوْضِهـا وإِلـى بَـذْلِ التَّضْحيـاتِ البَشَـريّةِ والمادّيّـةِ عَلـى مَذْبَحِهـا بِوْصْفِهـا كَـذا ـ أَيْ بِوَصْفِهـا حَرْبًـا. بَـلْ قُـلْ إِنَّ الحَـرْبَ، شَـأْنَ مـا يُسْـتَخْرَجُ مِـنْ باطِـنِ الأَرْضِ مِـنْ مَـوارِدَ طَبيعيــةٍ لا يَصْلُــحُ لِلاِسْــتِهْلاكِ إِلا بَعْــدَ تَكْريــرِهِ وَتَدْويــرِهِ وَلَيْــسَ هَــذا بِالسِّــرِّ المَكْنــونِ أَوْ بِالوَصْفَــةِ الَّتــي تَخْضَــعُ لِأَنْظِمَــةِ المُلْكيَّــةِ الفِكْريَّــةِ. وَمَتَــى مــا تَسـالَمْنا عَلـى أَنَّ «حِـزْبَ اللـهِ»، أَوْ، بِـكَلامٍ أَدَقَّ، مـا بِتْنـا نُجْمِلُـهُ تَحْـتَ مُسَـمَّى «حِـزب اللـه»، هـو، فـي الوَقْـتِ نَفْسِـهِ، تَعْبيـرٌ عَـنْ مَشْـروعِ «تَصْديـرِ الثَّـوْرَةِ» وأَداةٍ مِـنْ أَدَواتِ هَـذا المَشْـروعِ، أَيْ تَعْبيـرٌ عَـنْ مَشْـروعِ تَوْسـيعِ النُّفـوذِ الإِيْرانـيّ وأَداةٍ مِـنْ أَدَواتِـهِ، فَلَـنْ نَحْتـاجَ إِلّا لِمـا تَقْتَضيــهِ تَسْـميةُ الأُمـورِ بِأَسْـمائِها مِـنْ شَـجاعَةٍ لِنُسـمّيَ

«حِـزْبَ اللـهِ» بِاسْـمِهِ الحَقيقـي: حِـزْبِ الحَـرْبِ الإِيْرانيـةِ، المُتَعَـدِّدَةِ الأَوْجُـهِ، المُتَنَقِّلَـةِ بَيْـنَ السّـاحاتِ، النّاطِقَـةِ بِشَـتَّى اللُّكْنـاتِ، المُتَوَسِّـلَةِ باللامُحِـقِّ مِـنَ القَضايـا والباطِـلِ مِنْهـا، والمُتَّصِلَـةِ، عَلَـى غَيـرِ انْقِطـاعٍ، مُنْـذُ قُرابَـةِ أَرْبَعَـةِ عُقـودٍ، والمُنْـذِرَةِ بالاِسْتِرْسـالِ حَتَّـى إِشْـعارٍ آخَـر.

«حجابك أغلى من دمي»

كُتِـبَ لـي أَنْ أُوْلَـدَ وأَنْ أَشُـبَّ فـي حـارَةِ حُرَيْـك، أَحَـدِ أَحْيـاءِ مـا يُطْلَـقُ عَلَيْـهِ اسْـمُ ضاحيـةِ بَيـروتَ الجَنوبيّـةِ، أَيْ تِلَـكَ المِنْطَقَـةِ الَّتـي تَحَوَّلَـتْ شَـيْئًا فَشَـيْئًا، وأَزْعُـمُ بِأَنَّنـي رَأَيْـتُ، بِـأَمِّ العَيْـنِ، كَيْـفَ تَتالَـتْ وِلاداتُ مـا نُطْلِـقُ عَلَيْـهِ اليَـوْمَ اسْـمَ «حِـزْبِ اللـهِ» وَكَيْـفَ تَحَوَّلَـتْ هَـذِهِ الضاحيـةُ، عَلَـى مَـرِّ الأَرْبَعَـةِ العُقـودِ الماضيـةِ، إِلـى عاصِمَتِـهِ السّياسـيَّةِ والماليَّـةِ والثَّقافيَّـةِ والعَسْـكَرِيَّةِ والأَمْنيَّـةِ، وإِنْ أَنْسَـى لا أَنْسَـى أَنَّ أَحَـدَ أَوَّلِ الشِّـعاراتِ الَّتـي اخْتَطَّهـا الخُمَيْنيّـوْنَ عَلَـى جُـدْرانِ حَيِّنـا كانَـتْ ذَلِـكَ الشِّـعارَ الدَّعَـوي: «أُخْتـي، حِجابُـكِ أَغْلَـى مِـنْ دَمـي»، وإِذْ لا أَنـي أَسْـتَحْضِرُ هَـذا التَّفْصيـلَ كُلَّمـا أُتيحَـتْ لـيَ المُناسَـبَةُ، وإِذْ أَسْـتَحْضِرُهُ اليَـوْمَ حَيْـثُ يَنْتَشِـرُ «حِـزْبُ اللـهِ»، بِالمَعْنَـى العَسْـكَريّ لِكَلِمَـةِ انْتِشـارٍ، مِـنَ البَحْـرِ الأَحْمَـرِ إِلـى المُتَوَسِّـطِ، تَحْـتَ أَسْـماءَ مُسْـتَعارَةٍ

شَـتَّى، مَـعَ مـا يُغْـري بِـهِ هَـذا الاِنْتِشـارُ بِتَقْديـمِ الخَطَـرِ العَسْـكَريّ والأَمْنـيّ عَلـى سِـواهُ مِـنَ الأَخْطـارِ، فَلِأُذَكِّـرَ بِمـا يُفْتَـرَضُ أَنَـهُ مـا مِـنْ حاجَـةٍ لِلتَذْكيـرِ بِـهِ... لِأُذَكِّـرَ بِـأَنَّ الجَبْهَـةَ المَوْكـولَ إِلـى حِـزْبِ الحَـرْبِ أَنْ يُرابِـطَ عَلَيْهـا، وأَنْ يُقاتِـلَ، تَمْتَـدُّ مِـنْ غُرْفَـةِ النَّـوْمِ إِلـى أَعالـي البِحـار مُـرورًا بِالعَواصِـمِ، وَلِأُذَكِّـرَ بِالقَـوْلِ السـائِرِ: فـي الحَـرْبِ، إِنَّمـا يَخْسَـرُ الحَـرْبَ مَـنْ يَتَعَفَّـفُ عَـنْ خَوْضِهـا!

" إنَّ حَمْلَ «الـمُقاوَمَـةِ»
عَلَى مَحْمـَلِ الفِراشِ الَّذي وُلِـــدَ فيه «حِزْبُ الله»
لَيْسَ خَطَـــأً تاريخِيًّا فَحَسْبُ بَلْ خَطيئَةٌ سِياسِيَّةٌ لا كَفّارَةَ لَها. "